

وقعة صفين

[514] أو يدخلوا في حكمنا عليهم (1). وقد كانت منازلة حين رضينا بالحكمين، فرجعنا وتبنا، فارجع أنت يا علي كما رجعنا، وتب إلى الله كما تبنا، وإلا برئنا منك. فقال علي: ويحكم، أبعد الرضا [والميثاق] العهد نرجع. أو ليس الله تعالى قال: (أوفوا بالعقود (2))، وقال: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون). فأبى علي أن يرجع، وأبى الخوارج إلا تضليل التحكيم والطعن فيه، وبرئت من علي عليه السلام، وبرئ منهم، وقام خطيب أهل الشام حمل بن مالك بين الصفين فقال: أنشدكم الله يا أهل العراق إلا أخبرتمونا لم فارقتمونا؟ قالوا: فارقناكم لأن الله عز وجل أحل البراءة ممن حكم بغير ما أنزل الله، فتوليتكم الحاكم بغير ما أنزل الله، وقد أحل عداوته وأحل دمه إن لم يرجع إلى التوبة ويؤ بالدين (3). وزعمتم أنتم خلاف حكم الله فتوليتكم الحاكم بغير ما أنزل الله وقد أمر الله بعداوته، وحرمتكم دمه وقد أمر الله بسفكه، فعاديناكم لأنكم حرمتكم ما أحل الله، وحللتم ما حرم الله، وعطلتم أحكام الله واتبعتم هواكم بغير هدى من الله. قال الشامي حمل بن مالك (4): قتلتم أخانا وخليفتنا ونحن غيب عنه، بعد أن استتبتموه فتاب، فعجلتم عليه فقتلتموه، فنذكركم الله لما أنصفتكم الغائب (5) المتهم لكم، فإن قتله لو كان عن ملأ من الناس ومشورة كما كانت إمرته، لم يحل لنا الطلب بدمه، وإن أطيب التوبة والخير في العاقبة أن يعرف من لا حجة له الحجة عليه

(1) ح: " تحت حكمنا عليهم ". (2) من الآية الأولى في سورة المائدة. وفي الأصل: " بالعهد " تحريف. (3) يبوء: يقر ويعترف. وفي الأصل: " ويبوء بالدين ". (4) في الأصل: " حمزة بن مالك ". (5) لما، هنا، بمعنى إلا، كما في قول الله: (إن كل نفس لما عليها حافظ). (*)